

وترى كيف الجمع بين ثلاث ليال، تجمع مع نهارين، وثلاثة أنهار،  
وثلاثة أيام أليست إلا ثلاثة أنهار بلياليهن أم ليلتين؟ ولم يكن الحد الزمني  
لآيته إلا إحداهما! .

ثلاثة أيام نص في ثلاثة أنهار ظاهر في ثلاث ليال. وثلاث ليال نص -  
في لياليها الثلاث وظاهر في ثلاثة أنهار، ونتيجة الجمع بين النصين  
والظاهرين هي ثلاثة أيام بمجموع أنهارها ولياليها، واستعمال ثلاث ليال في  
المجموع سنة مستمرة، وقد يعني الإتيان بالليالي إبرازاً لأهميتها في هذا  
المجال لـ ﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ .

ثم «إلا رمزاً» سماح له أو أمر لتوجيه الناس إلى تسبيح الله:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (١١):

ذلك - وليعيشوا في جو النور الذي أمر أن يعيشه، تحضيراً للبشارة  
وشكراً على العدة، و﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ تعني في مجموعة ثلاثة أيام صباح  
مساء، وقد يعني ذكرهما أنهما كانا أصليين لأوقات العبادة في شرعة  
التوراة، أم هما أفضل الأوقات، لأنهما البداية والنهاية في اليقظة أو  
الشغل، فليذكروا بتسبيح الله وليعيشوا به .

ثم ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ هو الرمز المسموح له في تكلم الناس أياً كان فهو  
«وحي الإشارة» كما يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام (١) .

﴿يَبْحَثُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (١٢):

هنا يطوى عن «متى ولد يحيى؟ وكيف ولد؟ وماذا حصل بهذه

(١) في تفسير النعماني بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام حين سأله عن  
معنى الوحي فقال: منه وحي النبوة ومنه وحي الإلهام ومنه وحي الإشارة فقولته: ﴿فَخَرَجَ عَلَى  
قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١] أي أشار إليهم كقوله تعالى:  
﴿أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا﴾ [آل عمران: ٤١] .

الولادة؟» طياً لصفحة زكريا في صمته بتسييحه، وسدلاً لستار عليه وعلى الولادة، فتحاً لصفحة جديدة ومختصرة غير محتصرة عن يحيى عليه السلام حيث ليس كتاب القصة إلا ما يقص منها للنبهة والتذكرة، إبرازاً لأهم الحلقات وطياً لسائرهما حيث لا تعني ما يعنيه القرآن من قصته.

يؤمر يحيى أن يأخذ الكتاب بقوة، حاكماً به وداعياً إليه ﴿صَبِيًّا﴾ وهو قبل بلوغ الحلم، ويروى عن النبي ﷺ أنه «أعطي الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين»<sup>(١)</sup> و«قال الغلمان ليحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال يحيى: ما للعب خلقنا اذهبوا نصلي فهو قول الله: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾<sup>(٢)</sup>.

أترى أن ذلك الحكم - فقط - هو الفهم والعبادة من دون وحي ونبوة؟ وله نظائر من الصبيان علماً وعملاً! وهكذا حكم ليس لزامه أخذ الكتاب بقوة، حيث البالغ المؤمن العادل يأخذ كتاب الشريعة بقوة ودون قوة ويحيى كان نبياً دونما ربية!

أم أنه النبوة وقد عطفت بالكتاب في آيات عدة<sup>(٣)</sup> تجمع بين الكتاب والحكم والنبوة، مما يدل على أن الحكم ليس لزامه النبوة، ١ - فقد يؤتى الكتاب دون حكم ولا وحي ولا نبوة، كالمرسل إليهم بكتاب الشريعة، ٢ - أو يؤتى كتاباً بوحي الرسالة بحكم الولاية الشرعية كسائر المرسلين، ٣ - أم وحكم الملك كداود وسليمان عليهما السلام، ٤ - أو يضاف إلى وحي الرسالة بحكميها أو أحدهما النبوة وهي الرفعة في الرسالة، ٥ - أو يؤتى

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٦٠ - أخرج أبو نعيم وابن مردويه والديلمي عن ابن عباس عن النبي ﷺ في الآية قال: أعطي...

(٢) المصدر (٣٦١) أخرج الحاكم في تاريخه من طريق سهل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : ...

(٣) ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ...﴾ ﴿آل عمران: ٧٩﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ ﴿الأنعام: ٨٩﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ ﴿الجنات: ١٦﴾ ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ ﴿النساء: ٥٤﴾.

حكم الولاية الشرعية دون وحي كسائر ولاية الشرع، ٦ - أو ولاية الملك فقط على غرار الشرعة دون وحي ولا ولاية شرعية كما لطالوت الملك!

فالحكم - أيًا كان - كائن في الخمسة الأخيرة فليس لزامه خصوص وحي الرسالة فضلاً عن النبوة!

فهل يعني حكم يحيى الذي أوتيهِ صبياً حكم المُلْك؟ ولم يكن مَلِكاً وإنما ذبحه كما الحسين عليه السلام ملك ظالم! أم حكم ولاية الرسالة أو النبوة؟ ولا دليل عليه حين كان صبياً مهماً بلغ بعد صباه إلى رسالة أم نبوة! أم حكم الولاية الشرعية ولما يبلغ أشده؟ أو حكم العقل والفهم بصورة خارقة للعادة وهو مادة الولاية الشرعية؟ وهو القدر المتيقن من حكمه، كخارقة إلهية لمن لم يبلغ أشده، مهما أبلغه الله شداً واحداً وهو العقل الرزين والإدراك المتين<sup>(١)</sup> فلا نبي فيمن نعرف أوتي حكماً قبل أن يبلغ أشده وكما موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾<sup>(٢)</sup> وفي يوسف ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾<sup>(٣)</sup>. ولم يك عيسى نبياً في المهد مهما تكلم بوحي النبوة،

(١) نور الثقلين ٣: ٣٢٥ ح ٣٤ في كتاب الاحتجاج للطبرسي وروي عن موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: إن يهودياً من يهود الشام وأجبارهم قال لأمير المؤمنين عليه السلام: فهذا يحيى بن زكريا يقال: إنه أوتي الحكم صبياً والحلم والفهم وإنه كان يبكي من غير ذنب وكان يواصل الصوم؟ قال علي عليه السلام: لقد كان كذلك ومحمد عليه السلام أعطي أفضل من هذا، إن يحيى بن زكريا كان في عصر لا أوثان فيه ولا جاهلية ومحمد عليه السلام أوتي الحكم والفهم صبياً بين عبدة الأوثان وحزب الشيطان فلم يرغب لهم في صنم قط ولم ينشط لأعيادهم ولم يُر منه عليه السلام كذب قط وكان أميناً صدوقاً حليماً وكان يواصل صوم الأسبوع والأقل والأكثر فيقال له في ذلك فيقول: إني لست كأحدكم إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني وكان يبكي عليه السلام حتى يبتل مصلاه خشية من الله تعالى من غير جرم. أقول: قياسه صبياً محمد عليه السلام بصبا يحيى دليل على أن الحكم فيهما ليس النبوة وإنما الحالة المتحضرة للنبوة الآتية.

(٢) سورة القصص، الآية: ١٤.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٢.

ذوداً عن أمه المعصومة، وتبشيراً برسالته كهلاً ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(١)</sup> فلم يكلم الناس كرسول بين مهده وكهله!

هذا، ومن أئمتنا المعصومين من بلغ الإمامة والولاية الكبرى الاسلامية قبل أشده إلا شداً في عقله كالإمام محمد بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه حيث تقلد إمامة الأمة في الخامسة من عمره الشريف، ثم جواد الأئمة عليهم السلام في الثامنة أو التاسعة من عمره<sup>(٢)</sup>.

ثم وما تعني ﴿ حُذِرَ الْكُتُبَ بِقُوَّةٍ ﴾؟ إنه أخذ التوراة بقوة العلم والعمل والحكم بهما بين الناس بالولاية الشرعية لما يبلغ أشده<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٦.

(٢) المصدر ح ٣٢ - الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن علي بن أسباط قال: رأيت أبا جعفر عليه السلام وقد خرج عليّ فأجدت النظر إليه وجعلت أنظر إلى رأسه ورجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر فبينما أنا كذلك حتى قعد فقال يا علي: إن الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج به في النبوة فقال: «وأتيناها الحكم صبياً ولما بلغ أشده وبلغ أربعين سنة» فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبي ويجوز أن يؤتى الحكمة وهو ابن أربعين سنة. أقول: الآية الثانية غير مرتبطة بالنبوة فإن بدايتها ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا... ﴾ [الأحقاف: ١٥] ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ... ﴾ - إلى قوله - إِنِّي نَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥] فإنها ليست فيها إشارة إلى النبوة اللهم إلا الإيمان الإسلام وهو أعم، ثم الآية الأولى ليس فيها إلا الحكم وهو كما قسمناه لا يخص حكم النبوة، إذا فهذه الرواية مؤولة أو مطروحة مردودة إلى من نسبها إلى الامام عليه السلام.

وفيه (٣٥) عن المناقب محمد بن إسحاق بالإسناد جاء أبو سفيان إلى علي عليه السلام فقال: يا أبا الحسن جئتك في حاجة قال: وفيم جئتني؟ قال: تمشي معي إلى ابن عمك محمد فتسأله أن يعقد لنا عقداً ويكتب لنا كتاباً فقال: يا أبا سفيان لقد عقد لك رسول الله صلى الله عليه وآله عقداً لا يرجع عنه أبداً وكانت فاطمة عليها السلام من وراء الستر والحسن يدرج بين يديها وهو طفل من أبناء أربعة عشر شهراً فقال لها: يا بنت محمد قول لي لهذا الطفل يكلم لي جده فيسود بكلامه العرب والعجم فأقبل الحسن إلى أبي سفيان وضرب إحدى يديه على أنفه والأخرى على لحيته ثم أنطقه الله عز وجل بأن قال: يا أبا سفيان قل: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أكون شفيعاً فقال: الحمد لله الذي جعل من ذرية محمد المصطفى نظير يحيى بن زكريا ﴿ وَآيَاتِنَا لَكُمْ صَبِيحًا ﴾ [مریم: ١٢]

أقول: ولم يكن الحسن عليه السلام حينذاك إماماً وإنما أوتي حكماً: عقلاً وفهماً.

(٣) نور الثقلين ٣: ٢٢٥ ح ٢١ في أصول الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل =

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبِرًّا بَوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾:

«و» آتيناه حناناً من لدنا وبراً بوالديه... «إيتاءات وعطيات إلهية «وكان» قبلها وبعدها ﴿تَقِيًّا﴾ فلم تكن تلك الموهبات اللدنية دون شيء. فإنما «زكاة» من لدنه ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ في زكاته، حيث الغايات اللدنية تنزل حسب القابليات والفاعليات فقابلية «زكاة» كانت من لدنه، وفاعلية ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ منه ﷺ نسخة طبق الأصل!

هنالك حنان وزكاة وبر، وبينها تقى منذ ولد حتى الممات إذاً فكله ﴿وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾!

والحنان هو الإشفاق المتضمن للصوت الدال على الشفقة. و﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ تجعله خارقاً للعادة المألوفة وفي مربع من الحنّة ١ - حنان من الله وعطف بما يحمله وحيه الحنون ورحمته الحنون

«كان إذا قال يا رب قال الله ﷻ : لبيك يا يحيى<sup>(١)</sup> ، ٢ - وحنان له من لدنه جعله يحن إليه ليل نهار بحنين وأئنه وعبادته، ٣ - وحنان منه إلى عباد الله، يدأب في دعوتهم إلى ربهم ٤ - وحنان من الناس إليه وكما في موسى ﴿وَأَلْفَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾<sup>(٢)</sup> ! فهو إذاً محبط الحنان ومصدره بين الله

= يقول فيه: مات زكريا فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير أما تسمع لقوله ﷻ : ﴿يَنبِئُكَ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] فلما بلغ عيسى ﷺ سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله إليه فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين.

(١) في الكافي بإسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر ﷺ قال: قلت: فما عنى بقوله في يحيى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً﴾ [مريم: ١٣]؟ قال: تحزن الله - قلت: فما بلغ من تحزن الله عليه؟ قال: كان إذا قال: يا رب... .

(٢) سورة طه، الآية: ٣٩.

وخلقه، ورأس الزاوية من حنانه انجذابه الخاص إلى ربه لحدّ لا يؤلف في سواه اللهم إلا الأخصين من الصالحين محمد ﷺ وعترته الطاهرين ﷺ .  
هنالك حنان يمازجه ضيق بكاء دائم إشفاقاً من ربه واشتياقاً إليه، صوت المشتاق المفتاق إلى ربه مثلما كان لاستوانة الحنّانة حنين بفراق الرسول ﷺ ولذلك سميت حنّانة!

﴿وَزَكَاةٌ﴾ : آتيناها زكاة - طهارة عما يدنس ساحة الإنسانية والإيمان الإسلام «و» الحال أنه ﴿كَانَ تَقِيًّا﴾ ف ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ (١) فلما كان تقياً يتقي الموبقات، آتيناها زكاة عما يُتقى من جهل وسوء خلق وفسوق وعصيان فأصبح زكياً دون عيب في نماء وربوة روحية متعالية، متزكياً في نفسه مزكياً لغيره، زاكياً زكياً ذكياً في كل الحقول محلقة على كل العقول.

«و» آتيناها ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ وتري أن برّ الوالدين من ميّزات الرحمات اللدنية الربانية؟ ولم يذكر في عدادها لسائر المرسلين! ولا من دونهم من أولياء الله المكرمين! فإنه من صفات المؤمنين قبل هذه الدرجات العليا! فكيف يذكر في سائر القرآن بين سائر المرسلين - فقط - ليحيى وعيسى ﷺ؟! .

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (٣٣) :

إن السيد المسيح كما يأتي قد افتري عليه بخلاف البرّ لوالدته وأنه كان جباراً عليها عصياً، فدافع عنه القرآن هنا، ولأن يحيى الرسول كان مبشراً بالمسيح، وكانت مهمته الرسالية ذلك التبشير: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢) .

(١) سورة محمد، الآية: ١٧ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٩ .

لذلك يزود عنه أيضاً تلك الوصمة كإعداد لأصله المبشّر به، فإذا كان يحيى المبشر بالمسيح براً بوالديه فأحرى بالمسيح كونه براً بوالدته! ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾: مستعلياً مستكبراً يحمل غيره على ما أراد ولا يتحمل عن غيره ما يراد «عصياً»: كثير العصيان.

هذه جوامع أحوال يحيى في نفسه وما آتاه ربه، وأمام الخالق والمخلوق، زوايا ثلاث من حياته منذ ميلاده حتى موته: حاكماً حكيماً حنوناً زكياً تقياً وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً، فهو جملة وتفصيلاً سلام في سلام إلى سلام.

﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (١٥):

صحيح أن ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (١) جملة وسلام عليهم تفصيلاً، إلا أن يحيى وأحرى منه عيسى قيل فيهما أقاويل تمس من كرامة الرسالة ولادة وموتاً وبعثاً لذلك نجد مثلث السلام لهما في سائر القرآن بين سائر المرسلين، هذا ليحيى ومن ثم المسيح ﷺ: ﴿وَأَلْسَلَّمْ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٢).

ف «إن أوحش ما يكون في هذا الخلق في ثلاثة مواطن، يوم يولد ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا وقد سلم الله ﷻ على يحيى في هذه الثلاثة مواطن وآمن روعته فقال ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ وقد سلم عيسى ابن مريم على نفسه فيها» (٣) فسلام الولادة

(١) سورة الصافات، الآية: ١٨١.

(٢) سورة مريم، الآية: ٣٣.

(٣) نور الثقلين ٣: ٣٢٧ ح ٣٨ عيون الأخبار بإسناده إلى ياسر الخادم قال: سمعت أبا الحسن الرضا ﷺ يقول: إن أوحش.

والموت سلام طول حياة التكليف، وسلام البعث حياً هو سلام الخلود في عطاء غير مجدوذ ويعني مثلث السلام للمسيح ﷺ أكثر مما يعنيه في يحيى ذوداً عن ساحته فيها لا مزيداً لسلامه فيها<sup>(١)</sup>.

و﴿وَسَلِّمْ﴾ في إرساله يعم كل سلام من كل مسلم: من الله في رحمته، ومن الملائكة طلب الرحمة كما في سائر المرسلين والصالحين، ومنه نفسه كلما يقدمه لكل سلام منذ الحكم حتى الموت، ومن سائر الناس أن يعتقدوا فيه كل سلام. إذاً فهو في مربع السلام تكويناً وتشريعاً لا يجوز لأحد أن يقول فيه غير «سلام»! وهل يوجد بين الأتقياء أتقى من يحيى؟ علّه نعم فإنه لم يكن من أولي العزم مهما بلغ من تقاه، ثم القرآن يصرح بأن الرسول محمداً ﷺ أول العابدين! أو علّه لا إلا محمد ﷺ مهما سبق سائر أولي العزم في سائر عزمهم على يحيى، ولكنه أتقى منهم<sup>(٢)</sup> أم هم على سواء إلا

(١) يأتي تفصيله في سلامات المسيح بعد قليل.

(٢) ويتبع محمداً ﷺ وأهل بيته المعصومين ﷺ وقد تظافت الرواية عن الرسول ﷺ في فضل يحيى ففي الدر المشهور ٤: ٢٦٢ - أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن خزيمة والدارقطني في الأفراد وأبو نصر السنجري في الإبانة والطبراني عن ابن عباس قال: كنا حلقة في مسجد النبي ﷺ نتذاكر فضائل الأنبياء، فذكرنا نوحاً وطول عبادته وذكرنا إبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله ﷺ فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: ما تذاكرون بينكم؟ فذكرنا له فقال: أما إنه لا ينبغي أن يكون أحد خيراً من يحيى بن زكريا أما سمعتم الله كيف وصفه في القرآن ﴿يَبْحَثُ فِي الْكِتَابِ بِؤُفٍّ﴾ - إلى قوله - وَكَانَ تَقِيًّا ﴿مریم: ١٢، ١٣﴾ - لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها أقول: لعله نعم إلا محمداً ﷺ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] ولآية التطهير وأمثالهما من أدلة تفضيل محمد ﷺ وآله على العالمين أجمعين وفيه أخرج ابن عساكر عن ابن شهاب أن النبي ﷺ خرج على أصحابه يوماً وهم يتذاكرون - وذكر مثله في معناه - فقال النبي ﷺ: أين الشهيد ابن الشهيد يلبس الوبر ويأكل الشجر مخافة الذنب يحيى بن زكريا وفيه أخرج أحمد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة إلا يحيى بن زكريا لم يهم بخطيئة ولم يعملها أقول يستثنى =



خاتمهم ﷺ ، فسلام عليه من عيسى ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ﴾ من الله ليحيى قد يلمح لكونه أتقى من عيسى مهما كان المسيح أفضل منه في ولاية العزم اللهم إلا في تقاها<sup>(١)</sup> .

وترى لماذا ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ وهو ميت حال نزول آية السلام؟ لأنه ينقل «سلام» عن حال حياته ، لا أنه «سلام» بعد استشهاده حال نزول آية السلام!

ولماذا «حيًا» بعد ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ﴾ والبعث ليس إلا بعث الحياة؟ قد يعني أنه لا يموت عن حياة البرزخ إلى حياة الآخرة، وإنما يزداد حياتها إلى حياته، لأنه والمسيح ممن استثنى من الصعقة ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فهما ممن شاء الله ألا تأخذهم الصعقة بموت أم غشوة، وإنما انتقلاً من برزخ الحياة إلى أخراها ببعث لبدن والروح حي يزداد حياة بهذا البعث!

وقد تلمح ﴿حَيًّا﴾ فيما تعني أنه حي في البرزخ بحياة الشهادة، حياة في

= من عمل الخطيئة كافة المرسلين وسائر المعصومين، ومن هم بالخطيئة الرعيل الأعلى منهم وفي إنجيل متى: «عن السيد المسيح» الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان . . .» وهو اسم ثانٍ ليحيى حسب الإنجيل .

(١) الدر المثنور ٤ : ٢٦٢ - أخرج عبد الرزاق وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال: إن عيسى ويحيى التقيا فقال عيسى ليحيى: استغفر لي أنت خير مني فقال له عيسى: بل أنت خير مني سلم الله عليك وسلمت أنا على نفسي وفيه أخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والحاكم والضياء عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا، أقول: قد يعني بذلك من مات شاباً فلا يشمل الإمام المهدي ﷺ وأما الإمام الجواد فقد يعني من الشباب غير أهل بيت الرسالة المحمدية فإنهم في الدرجة العليا من العصمة لا يدانيهم أحد كما تدل آية التطهير ورواياته! .

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٨ .

حياة لا تسلبان عنه إذ ﴿يُبْعَثُ حَيًّا﴾ وما أَلطفه جمعاً بين الحياتين فيما تعنيه ﴿حَيًّا﴾<sup>(١)</sup> وهو - إذاً - حال عن يحيى المضمرة في ﴿يُبْعَثُ﴾<sup>(٢)</sup>.

فـ ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ﴾ للحياة الآخرة حال كونه ﴿حَيًّا﴾ بالحياة البرزخية وحياة الشهادة، ولا نجد البعث حياً إلا في يحيى والمسيح ﷺ مهما يبعث أضرابهما من أولياء الله الكرام أحياء، بحياة إن ماتوا أم حياتين إن استشهدوا، فغيرهم لا يبعثون أحياء، وإنما عن موت برزخي مهما كان الشهداء أحياء قبل البعث أكثر من سائر الأحياء!

### زكريا ويحيى في القرآن والعهدين:

يذكر زكريا سبعاً ويحيى خمساً في سائر القرآن بكل تبجيل وتجليل، ومن ميزات يحيى أنه ولد خارقة العادة وسماه الله يحيى وآتاه الحكم صبياً، وقد تشير ﴿يَحْيَى﴾ إلى أنه يحيا حياة طيبة، وأنه تستمر حياته البرزخية إلى بعثه: ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ دون موت في البرزخ!

(١) الدر المنثور ٤: ٣٦٣ وأخرج ابن عساكر من طريق علي بن زيد بن جدعان عن علي بن الحسين ﷺ عن الحسين بن علي ﷺ قال: كان ملك مات وترك امرأته وابنته فورث ملكه أخوه فأراد أن يتزوج امرأة أخيه فاستشار يحيى بن زكريا في ذلك وكانت المملوك في ذلك الزمان يعملون بأمر الأنبياء فقال له: لا تتزوجها فإنها بغية فبلغ المرأة ذلك فقالت: ليقتلن يحيى أو ليخرجن من ملكه فعمدت إلى ابنتها فصيغتها ثم قالت: اذهبي إلى عمك عند المملأ فإنه إذا رآك سيدعوك ويجلسك في حجره ويقول: سليمان ما شئت فإنك لن تسأليني شيئاً إلا أعطيتك فإذا قال لك قولي: لا أسألك شيئاً إلا رأس يحيى وكانت المملوك إذا تكلم أحدهم بشيء على رؤوس المملأ ثم لم يمض له نزع من ملكه ففعلت ذلك فجعل يأتيه الموت من قتل يحيى وجعل يأتيه الموت من خروجه من ملكه فاختر ملكه فقتله، فساخت بأمرها الأرض...».

(٢) أجل حال لا مفعول فإن البعث يتعدى لمفعول واحد وهو هنا نائب الفاعل في «يبعث» وحتى إذا عدي البعث إلى مفعولين فلا يتعدى إلى ثانٍ هو «حياً» لأنه تحصيل حياة حاصلة، اللهم إلا مزيد الحياة المعنى بـ «حياً» وهي حالٌ ليحيى!.